A-PDF Image To PDF Demo. Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

٩٥٣,٠٧٣

كلية دار العلوم

قسم التاريخ الإسلامي والحضارة

المرأة في مصر والشام

في العصرين الأيوبي والمملوكي

٥٦٧ هـ / ١١٧١م ـ ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م

بحث مقدم من

أحمد محمد عبد العزيز جلال

لنيل درجة الماجستير

تحت إشراف

أ. د / عفيفي محمود إبراهيم

د / نعمة علي مرسي

المقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين عليه توكلت وبه أستعين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إليه يرجع الأمر كله في الأولين والآخرين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وحامل لواء الحمد يوم الدين فهذا البحث يتناول المرأة في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي .

مما لا شك فيه أن الإسلام قد رفع من مكانة المرأة بعدما كان ينظر إليها على أنها شئ ملك للرجل أو إنها سلعة تباع وتشترى فقد أعطى الإسلام لها الحقوق كاملة وفرض عليها الواجبات وأهتم اهتماماً كبيراً بوضعها الاجتماعي مثلها في ذلك مثل الرجل لذلك ترجع أهمية هذا البحث إلى الدور الذي لعبته المرأة في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي سواء كانت من سيدات القصور أو من عامة الشعب أو حتى من الجواري وسواء كان هذا الدور سياسياً أم اجتماعياً أم اقتصادياً أم ثقافياً .

ويرجع اختيار الموضوع إلى عدة أسباب أولها أنه لم يدرس من قبل وثانيها أن الكتب والمصادر التاريخية لم تعطنا تصوراً كاملاً لحياة المرأة في تلك الفترة وكذلك لمكانة الدولة الأيوبية والمملوكية في حياة العالم الإسلامي ؛ فالدولة الأيوبية هي التي تمكنت من دحر قوى الصليبيين لاسيما في موقعة حطين على يد الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) ، أما عن الدولة المملوكية فقد كان لها دوراً لا يقل أهمية عن الأيوبيين حيث تمكنوا في بداية عهدهم بقيادة الملك المظفر سيف الدين قطز (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) من حماية العالم الإسلامي من خطر المغول الذين داهموا ليس فقط العالم الإسلامي بل العالم أجمع حتى كانت بداية نهايتهم في موقعة عين جالوت في سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م حيث تمكن الملك المظفر من هزيمتهم هزيمة ساحقة وتتبع فلولهم حتى أخرجهم من بلاد الشام ، وجاء المماليك من بعده ليكملوا هذا الانتصار ، حيث

تمكنوا من هزيمة المغول فى غير موقعة كما كان لهم الفضل فى إخراج الصليبيين نهائيا من العالم الإسلامي .

ومن هذه الأهمية الكبرى لهاتين الدولتين كان لزاماً علينا معرفة دور المرأة ومكانتها فى هذه الأحداث وهل كان لها دور فعال أم كانت مهمشة ليس لها دور ؟

وقد قسمت هذا البحث إلى أربعة فصول يسبقهم تمهيد عن حياة المرأة فى العصر الفاطمي حتى يتثنى لنا الدخول إلى حياة المرأة فى العصرين الأيوبي والمملوكي ، والفصل الأول يتناول المرأة والحياة السياسية ، والثاني يتناول المرأة والحياة الاجتماعية والاقتصادية ، والثالث الزواج السياسي ، والرابع المرأة والحياة الثقافية ويشتمل كل فصل على عدة نقاط كالتالي : ـ

الأول وهو بعنوان المرأة والحياة السياسية ، وهو ينقسم إلى نقطتين الأولى بعنوان المرأة والإدارة والحكم وهو يتناول بعض الشخصيات التى كان لهن مكانة كبيرة فى شئون الإدارة والحكم بل كانت لهن الكلمة الأولى فى ذلك وأولهن السيدة ضيفة خاتون زوجة الملك الظاهر غازى ابن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي صاحب حلب وهي أبنة الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب ، وكذلك السيدة غازية خاتون أبنة الملك الكامل محمد بن العادل أبو بكر زوجة الملك المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه ، وكذلك شجرة الدر الملكة المستعصمة أم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد ومن بعده زوجة الملك المعز عز الدين أيبك بعد ما تنازلت له عن عرش البلاد ، وكذلك السيدة زينب بنت خاص بك زوجة الملك الأشرف إينال .

والثانية بعنوان مكانة المرأة فى الحياة السياسية ، فلما كانت المرأة هي أم الملوك وزوجاتهم وبناتهم وأخواتهم لذلك فقد كان لمكانتهن هذه دوراً كبيراً

فى بعض الأمور السياسية وأشهر هذه الأدوار دور الوساطة بين الملوك ودور الشفاعة عندهم .

الثاني بعنوان المرأة والحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مصر والشام فى العصرين الأيوبي والمملوكي ، وهو مقسم إلى عدة نقاط ، أولاً طبقات النساء : الطبقة الأولى هي طبقة نساء الملوك والسلاطين وكبار رجال الدولة والثانية طبقة المرأة العادية حيث القاعدة العريضة للنساء وأخيراً الطبقة الثالثة وهي طبقة الجواري .

ثانياً : العادات والتقاليد ، فقد اعتادت المرأة فى هذين العصرين على عادات معينة منها الخروج من المنزل إلى المتنزهات فى المواسم والأعياد واتخاذ الألقاب مثل لقب ست الكل ، وست الشام ، وست الملك ، كما وجدت عادات الغناء والترف .

ثالثاً : الملابس ، حيث وجدت الملابس فى هذين العصرين بأشكال مختلفة وألوان متعددة كما أن النساء فى هذين العصرين قد استحدثن بعض الملابس منها لبس الطواقي متشبهات فى ذلك بالرجال .

رابعاً : المنشآت المعمارية فلما كان الملوك من الأيوبيين والمماليك قد حرصوا على إنشاء المنشآت المعمارية فقد وصل هذا الاهتمام إلى النساء اللاتي حرصن كذلك على إنشاء مثل هذه المنشآت لذلك قمن بإنشاء القصور والمدارس والأضرحة والمساجد والحمامات وغير ذلك .

خامساً : الثروة ، فلما كانت الدولة الأيوبية والمملوكية مركزاً من مراكز التجارة بين الشرق والغرب فقد حصلتا من هذه التجارة على الأموال الطائلة التى جعلتهما من أغنى دول العالم الإسلامي ، وقد امتدت هذه الثروة إلى أيدى النساء حتى أن بعضهن قد وصلت عندهن الثروة إلى حد كبير .

الثالث بعنوان المرأة والزواج السياسي في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي وهو ما يعرف بزواج المصالح ، وقد تحدثت في هذا الفصل عن أشهر الزيجات السياسية في هذين العصرين وهل حققت هذه الزيجات الأهداف التي قامت بسببها .

وبعد ذلك كان لهذه الزيجات رسوم معينة قد اعتاد عليها الأيوبيون والمماليك ، وهي على النحو التالي ، أولاً إرسال الرسل لطلب الخطبة ، ثانياً إرسال الرسل لعقد العقد ودفع الصداق ، ثالثاً إرسال جهاز العروس إلى بيت زوجها ، رابعاً إقامة الحفلات التي كانت تستمر في أغلب الأحيان إلى سبعة أيام وفي اليوم الأخير منها تمد الأسمطة للضيوف .

الرابع بعنوان المرأة والحياة الثقافية في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي ، ويبدأ بذكر نبذة عن دور ملوك الأيوبيين والمماليك في الحياة العلمية ، فقد أعطى الأيوبيون الحياة العلمية اهتماماً كبيراً ، ويرجع ذلك إلى محاولتهم القضاء على المذهب الشيعي الذي كان منتشراً في مصر في العصر الفاطمي ، أما عن المماليك فقد كان اهتمامهم بالحياة العلمية يرجع إلى أن تكون لهم ساتراً حتى لا يسأل أحد عن أصلهم ، ثانياً دور الخوندات في الحياة العلمية فقد قامت الكثيرات منهن بإنشاء المدارس كما كانت منهن الكثيرات اللاتي تعمقن في العلم وخاصة علم الحديث ، ثالثاً دور الأسرة في الحياة العلمية ، فلما كانت الأسرة تحتوي على أحد المتعلمين كان هذا يؤثر تأثيراً إيجابياً على حياة باقي أفراد الأسرة لاسيما النساء وقد أدى هذا إلى وجود العديد من المثقفات اللاتي كان للأسرة دوراً مهماً في تعليمهن .

رابعاً جاء ذكر أشهر المثقفات في مصر والشام في العصرين الأيوبي والمملوكي فقد عرفت الشاعرات والمحدثات والراويات والكاتبات والواعظات والزاهدات والعابدات .

وأخيراً يقول رسول الله "ص"

وأخيراً يقول رسـول الله ﷺ :

"من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة" .

وفى النهاية لايسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر والدعاء لأساتذتي الأفاضل .

وبادئ ذى بدء أتقدم بأسمى آيات الشكر إلى أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور / عفيفي محمود إبراهيم أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية آداب بنها ــ جامعة الزقازيق الذي لم يبخل علىّ بعلمه العزيز ، كما أتقدم بأسمى آيات الشكر أيضاً إلى الأستاذة الدكتورة / نعمة على مرسي أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ الإسلامي كلية دار العلوم ــ جامعة المنيا ، التي أرشدتني بعلمها ورعتني منذ أن كنت فى الليسانس .

كما أتوجه بخالص الشكر إلى عضوي لجنة المناقشة على ما بذلوه من جهد فى فحص الرسالة وتمحيصها حتى تخرج لنا على الوجه الأكمل وهما الأستاذة الدكتورة / صفاء حافظ أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية آداب بنها ــ جامعة الزقازيق ، والأستاذ الدكتور / حسن خضير أحمد أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية آداب قنا جامعة جنوب الوادي .

والله الموفق ،

دراسة

لأهم المصادر والمراجع

لقد اعتمد الباحث على العديد من المصادر والمراجع التى كتبت لنا عن العصرين الأيوبي والمملوكي وقد تنوعت هذه المصادر ما بين كتب التراجم التى ترجمت للعديد من الشخصيات النسائية اللاتي لعبن دور فى العصرين الأيوبي والمملوكي ، كذلك تم الاستعانة بمصادر التاريخ العام التى تسرد الأحداث والتى تؤدي إلى معرفة دور المرأة أيضاً ، كما تم الاستعانة بكتب المعاجم ، وأخيراً تم الاستعانة بالعديد من المراجع التى تساعد البحث وتؤدي إلى إكمال الفائدة .

ومن أهم كتب التراجم التى تم الاستعانة بها : ـ

كتاب "**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**" لأبى عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) جمع فيه ابن خلكان تراجمة لأهم فضلاء الإسلام منذ صدر الإسلام وحتى قبل وفاته ، إلا أنه ترك بعض الشخصيات الهامة مثل الخلفاء الراشدين وقد جاء كتابه وافراً بالتراجم لبعض الشخصيات النسائية .

كذلك كتاب "**فوات الوفيات**" لابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) وقد قام بجمعه وترتيبه بعد أن اطلع على كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان فوجد أن ابن خلكان لم يذكر أحداً من الخلفاء الراشدين ، كما أنه لم يصيب فى ترجمة بعض فضلاء زمانه ، فاستدرك عليه ذلك واختار من كتابه وفيات الأعيان ستمائة ترجمة .

كذلك كتاب "**الوفيات**" لتقي الدين محمد بن رافع السلامي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) وهو فى مجلدين كتبه السلامي لكي يجعله زيلاً على كتاب وفيات البرزالى للقاسم بن محمد البرزالى المتوفى سنة (٧٣٩هـ/١٣٣٨م) وهذا الكتاب يتضمن أكثر من تسعمائة وخمسين ترجمة للرجال والنساء وغالبيتهم من العلماء الذين كانت وفاتهم ما بين سنة

٧٣٧هـ / ١٣٣٦م، ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ ، حيث الفترة بين نهاية كتاب البرزالي ونهاية كتابه.

كذلك كتاب "**الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة**" لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) وهو من أهم كتب التراجم ترجم فيه صاحبه للأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتاب والوزراء والأدباء والشعراء ورواة الحديث النبوي ، ولأهم الشخصيات النسائية من المثقفات والفضليات والمحدثات الذين عاشوا فى المائة الثامنة للهجرة وهو أول كتاب كامل ألف على عنوان القرون وهو فى خمسة أجزاء مرتب على حسب الترتيب الأبجدي للأسماء .

كذلك كتاب "**شذرات الذهب فى أخبار من ذهب**" للمؤرخ والأديب أبى الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) جمع فيه لأهم أعيان الإسلام من الرجال والنساء منذ الهجرة المباركة وحتى سنة ١٠٠٠هـ/١٥٩١م ، وقد جمع المؤلف تراجمة من بطون الكتب وهذا الكتاب فى أربعة مجلدات ينقسم كل مجلد إلى قسمين وقد رتبه على ترتيب السنين .

ومن أهم كتب التاريخ العام التى تم الاستعانة بها : ـ

كتاب "**السلوك لمعرفة دول الملوك**" لتقي الدين أحمد بن على المقريزي (ت٨٤٥هـ / ١٤٤١م) وهو فى أربعة أجزاء يبدأ بذكر ما كان عليه الكافة قبل الإسلام ، ثم يتحدث عن دولة الأيوبيين والمماليك ، سرد فيه المقريزي للأحداث السياسية والاجتماعية وهو على نظام الحوليات ولكنه لم يفصل بين سنة وأخرى .

كذلك كتاب "**النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة**" لابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) وهو تاريخ لملوك مصر يستفتح بفتح مصر وما وقع لهم من المالك ومن حضرها من الصحابة رضوان الله عليهم وقد جمع فيه ابن تغرى بردى لأقوال العديد من المؤرخين ويذكر من وليها منذ أن

فتحها عمرو بن العاص واحد بعد واحد ، ويذكر فى كل ترجمة ما أحدث صاحبها فى أيام ولايته وما أتى به جديدا من الوظائف والولايات على مدى فترة حكمه ويذكر فى كتابه ما بنى من ميادين وجوامع وعمارات بالقاهرة ويبدأ بولاية عمرو بن العاص وينتهي عند الملك الأشرف .

ومن كتب ابن تغرى بردى أيضا "**المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافى**" جمع فيه ابن تغرى بردى نحو ثلاثة آلاف ترجمة لمشاهير المماليك والأمراء والسلاطين الذين عاشوا فى مصر والشام فى عصر دولتي المماليك الأولى والثانية ، بالإضافة إلى من عاصرهم من مشاهير المشرق والمغرب من المسلمين وغيرهم .

كذلك كتاب "**بدائع الزهور فى وقائع الدهور**" لمحمد بن أحمد بن اياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) وهو كتاب فى التاريخ العام ، وهو يذكر شئ عن تاريخ مصر قبل الإسلام ثم بعد دخول الإسلام مصر وحتى سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م ، كما يذكر بعض أخبار البلاد العربية المجاورة وهو يسرد الأخبار مرتبا على السنين كما يذكر تاريخ وفاة أهم الشخصيات من الرجال والنساء .

كذلك كتاب "**عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان**" لبدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) وهو كتاب فى التاريخ العام إلا أن الأجزاء التى تم معرفتها هي التى تتناول العصر المملوكي وهو يتناول الأحداث السياسية والاجتماعية ويذكر تاريخ وفاة أهم الأعيان وترجمة مبسطة لهم .

ومن أهم كتب المعاجم : ــ

كتاب "**معجم البلدان**" للشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ترجم فيه ياقوت لغالبية بلدان العالم الإسلامي فى الشرق والغرب كما تناول كذلك بعض مدن بلاد الروم الغير إسلامية كما ترجم فيه ياقوت لبعض الأعيان التى ارتبطت أسمائهم بالبلدان وقد

رتب ياقوت كتابه على الترتيب الأبجدي لأسماء البلدان وهو في خمسة أجزاء .

كذلك كتاب "**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**" للمقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) جمع فيه المقريزي ما تفرق من أخبار أرض مصر وأحوال سكانها ولم يكتب كتابه على السنين لاختلاط أخبار أهل مصر ، كتبه سبعة أجزاء تشتمل على جمل من أخبار أهل مصر ، وأحوال نيلها ، وخراجها وجبالها ، كذلك مدنها وأجناس أهلها ، وأخبار الفسطاط ومن ملكها ، وأخبار القاهرة ، كما يشتمل على قلعة الجبل وملوكها .

كذلك كتاب "**الدارس في تاريخ المدارس**" لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ويذكر فيه صاحبه أحوال مواضع الفائدة بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس وما يلحق بذلك من الربط والخوانق والترب والزوايا مع بيان أماكنها وأوقات إنشائها وتراجم واقفيها وذكر أوقافهم وشروطهم وهو مقسم إلى إثنا عشر فصلا الأول لدور القرآن الكريم والثاني لدور الحديث الشريف والثالث لدور القرآن والحديث معا والرابع فصل في مدارس الشافعية والخامس في مدارس الحنفية والسادس في مدارس المالكية والسابع في مدارس الحنابلة والثامن مدارس الطب والتاسع الخوانق والعاشر الأربطة والحادي عشر الترب والفصل الأخير ذكر فيه المساجد.

ومن أهم المراجع التى تم الاستعانة بها : ــ

كتاب "الأعلام" لخير الدين الزركلي وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، وهو مرتب على الأحرف الأبجدية ، كتاب "تراجم أعلام النساء" لرضوان دعبول وهو قاموس تراجم ترجم فيه رضوان دعبول لأشهر السيدات منذ صدر الإسلام وحتى العصر الحديث ؛ كتاب "مصر في عصر دولة المماليك البحرية" لسعيد عبد الفتاح عاشور سرد فيه الأحداث السياسية والاجتماعية لمصر في ذلك الوقت ؛ كتاب "الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى" ، "المرأة في مصر

المملوكية" لأحمد عبد الرازق ، "موسوعة صر سلاطين المماليك" لمحمود رزق سليم وهو يذكر بها أهم الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية التى حدثت فى عصر سلاطين المماليك ؛ "**معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكي**" لمحمد أحمد دهمان وهو معجم لأهم الألفاظ التاريخية التى جاءت فى العصر المملوكي بالإضافة إلى ذكر بعض الأحداث السياسية ؛ "معجم المصطلحات والألقاب التاريخية" لمصطفى عبد الكريم وهو على غرار الكتاب السابق وهو مرتب مثلبه على الترتيب الأبجدي للألفاظ إلا أنه أشمل منه لأنه يذكر ألفاظ تاريخية على مر العصر الإسلامي .

تمهيد